ملخص بحث

يتكلم البحث عن أهمية العقل في دراسة الحديث النبوي الشريف من خلال جهد المحدثين الذين راعوا العقل في عملهم وجعلوا النظر العقلي في الحديث مقياسا للنقد مما أسهم في البناء الحضاري للأمة الإسلامية ، مع خطورة الاعتماد على العقل في نقد الحديث ، ولا بد أن يكون عقلا مستنيرا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي نجد للعقل دورا في قبول ورد الحديث سندا ومتنا ، وأنه وسيلة من وسائل كشف الموضوع الذي أُدخل في السنة وهو ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

Abstract

(The Effect of Reason on Accepting and Rejecting Hdiths)

This study tackles the Importance of reason in studying the Prophetic Hadith through the efforts of Al-Muhaditheen who paid attention to reason in their works. They have adopted the reason as a criterion in criticizing the Hadith in a way that contributed in building the civilization of the Islamic nation. In spite of the danger of relying on reason in criticizing the Hadith, the reason should be truly guided by the Qur'an and the Sunnah (the Prophetic Tradition) of the Prophet (Peace Be upon Him). Thus, the reason plays a role in accepting a certain Hadith regarding its Sanad (The chain of Transmission), Matn (the text) and it is a means to differentiate Prophet's speech from that which does not belong to him.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد : فان الله تعالى تكفل لهذه الأمة بحفظ كتابها ولما كانت سنة نبيه مبينة ومفسرة للكتاب العزيز فهيأ رجالا يحافظوا على هذه السنة و يصدوا عنها ما ليس منها ٠

فتصدر لهذه المهمة رجال أجهدوا ليلهم ونهارهم للتمحيص في دقائق أسانيد ومتون الحديث الشريف ووضعوا القواعد التي من خلالها يوزن الحديث بميزان ذي كفتي القبول والرد ٠

وراعوا في ذاك الجهد العقل وأعطوه دورا في ميزان القبول والرد فجزا الله المحدثين خير الجزاء ٠

وأحببت أن أبين في صفحات هذا البحث أثر العقل في قبول المحدثين للحديث، أو رده، وعنونته (أثر العقل في قبول ورد الحديث) وقسمته إلى مقدمة و أربعة مباحث ، وكل مبحث إلى مطلبين ،على النحو الآتي:

المبحث الأول بعنوان : أهمية العقل في دراسة الحديث

وتضمن مطلبين

المطلب الأول: قيمة العقل في جهد المحدثين

المطلب الثاني : خطورة الاعتماد على العقل في نقد الحديث

المبحث الثاني بعنوان : أثر العقل في الحديث المقبول

وتضمن مطلبين

المطلب الأول : أثر العقل في الإسناد المقبول

المطلب الثاني: أثر العقل في المتن المقبول

المبحث الثالث بعنوان: أثر العقل في الحديث المردود

وتضمن مطلبين

المطلب الأول: أثر العقل في الإسناد المردود

المطلب الثاني : أثر العقل في المتن المردود

المبحث الرابع بعنوان: أثر العقل في كشف الموضوع

وتضمن مطلبين

المطلب الأول: العقل وسيلة لكشف الموضوع

المطلب الثاني: قاعدة (أحاديث العقل كلها كذب)

ثم ختمت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج والوصايا ، وما كان فيه من صواب فهو من توفيق الله ، أما الخطأ فمن نفسي أصلحها الله ، وما هذا البحث إلا نتاج أولئك الجهابذة من المحدثين والنقاد الذين سطروا العقل إلى جانب القلم حفاظا على سنة نبيهم وغيرة على الإسلام ، اسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
أهمية العقل في دراسة الحديث
المطلب الأول
قيمة العقل في جهد المحدثين

منح الله سبحانه وتعالى العقل للإنسان تكريما له، وتمييزا عن الحيوان، وتحريرا له من التبعية لغيره ، لاسيما في القيم العلمية،وأوكل إلى نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام مهمة تحرير العقول من الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الحكمة، فقال سبحانه وتعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) [١]

ومن تعليم الكتاب والحكمة ما يمكن أن يسمى الفقه الحضاري الذي يعنى بنقل الإنسان من فهم سطحي إلى فهم عميق، ومن عقل راكد إلى عقل متحرك ، من عقل خرافي يتبع الأوهام إلى عقل علمي يبحث عن الحقيقة والبرهان ٠ [٢]
وعندما نتأمل جهود علماء الحديث الباحثين فيه سندا ومتنا نجد أن للعقل دورا كبيرا في عملهم٠

ونجد أن من ضمن جهدهم هو الانتقال بالعقول إلى ناحية علمية ارصن فلم يسملوا لاي حديث يردهم إلا بعدى تمحيص وتدقيق من قبل عقول متحررة ، وهم بذلك أجهدوا أنفسهم لتخليص الناس من كلام نسب إلى الحديث وما هو بحديث بل هو وسيلة لتجميد عقولهم ٠

---

١ سورة الجمعة الآية (٢)

٢ ينظر السنة مصدرا للمعرفة والحضارة / ٢٠٥

وما جهد المحدثين إلا مساهمة في البناء الحضاري للأمة الإسلامية ونقلها دوما إلى الأرقى ٠

لاسيما وأنهم اشترطوا مراعاة العقل في قبول الحديث وتصحيحه وجعلوا النظر العقلي في الحديث مقياسا للنقد ٠ [١]

المطلب الثاني

خطورة الاعتماد على العقل في نقد الحديث

إن لعقل الإنسان قيمة سامية تسمو به نحو الاسما هذه حقيقة

ولكن لا ينبغي أن يُغتَرَ بها كما حدث عند البعض فاعتمدوا على العقل في الحكم على الحديث مما أدى إلى انزلاقهم في نفي الثوابت دينا وعقلا ٠

إن كثيرا من الباحثين عمدوا إلى أحاديث صحيحة في الصحيحين أو غيرهما من كتب الأئمة المعتمدين و عارضوها بالعقل أو النقل ، ويدعون عليها الوضع بحجة تحاكمهم إلى القواعد فحكمت لهم بما حكموا من رد ، والاعتدال في ذلك أن ننظر إلى الحديث الذي هو محل الإشكال فإن تمكن العقل من فهمه على وجه يتفق مع القواعد ولا يتعارض معها فهو المطلوب، ولا داعي لرده ، والواقع أن ما ثبت صحته عند أئمة الحديث لا يَرد عليه ما تكلف له هؤلاء من الطعون، وقد سبق العلماء من قبل إلى بحث مثل هذا الإشكال وإزاحته عن الأحاديث الصحيحة في علم مختلف الحديث ٠ [٢]

---

٣ ينظر أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم / ٦١ – ٦٦

٤ ينظر منهج النقد في علوم الحديث / ٣١٦ – ٣١٧

فالتعليل بحجة رد العقل للحديث ، غير مقبول على إطلاقه لان المحدثين عندما اعملوا العقل في نقدهم ألحديثي إنما أعملوا العقل الحكيم ، الذي يُسخر هو لخدمة الشرع لا العكس ،

وإلا ستفتح الأبواب أمام أهل الأهواء والبدع فيردوا ما لا يوافقهم بحجة أن العقل لا يقبله ، وفي حقيقة الأمر أن ما لايقبله عقل قد يقبله آخر وبالعكس ٠

بل إنا نجد أن المحدثين راعوا العقل في نقدهم للحديث آخذين على عاتقهم كشف ما ادخله المبتدعة إلى الإسلام والإسلام بريء منه ٠

و(إن المحدثين إذا كانوا قد راعوا العقل في جميع قواعد منهجهم النقدي فان المراد بالعقل هنا ، العقل المستنير بالقرآن الكريم ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ومقاصد الشريعة وكلياتها القطعية ، لا العقل المجرد فانه بمجرده ليس مقياسا لقبول العقل أو رده،فيجب أن يكون منضبطا بضوابط الشرع،وموجها من قبله)٠ [١]

فالعقل إذا كان غير منضبط بضوابط الشرع فقد لا يصلح حاكما على الحديث ، وان المحدثين راعوا العقل في النقد ألحديثي من قبل أهل الاختصاص _ المحدثين النقاد _ وليس كل من امتاز بعقل ذكيى أو متميز في أمور أخرى ٠

(ومن هنا نقول إن العقل المجرب في مجال ما ،غير الحديث والرواية لا يكون متأهلاً لمزاحمة صفوف النقاد أصحاب العقول المجربة في الحديث ،وإلا ستكون

---

٥ أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم / ٧١

العواقب خطيرة ، حيث تؤدي إلى طمس معالم النقد عند المحدثين النقاد تدريجياً ،و ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله) ٠[١]

لاسيما وأن العقول متفاوتة في الفهم والإدراك فكيف بالتي افتقرت إلى ضوابط الشرع ، أو كانت متأثرة بضوابط غير شرعية فقد تحكم على الحديث حكما باطلا لاقتصارها على عقل غير رصين ٠

وقد (يوجد في بعض الحديث ما لم تستوعب بعض العقول فهمه، تارة للجهل، وتارة للهوى، والبدعة، وبُغض السنن.

ووقع مثل ذلك عن طوائف من الناس ردوا بمحض العقول نصوصاً تتصل بالغيب ، كبعض نصوص الصفات واليوم الآخر ، مما لم تنفرد به السنن الصحيحة ، وإنما له في القرآن نظائر، وهذا مما لا يجوز أن يكون العقل فيه حاكماً على النص)٠[٢]

المبحث الثاني

أثر العقل في الحديث المقبول

المطلب الأول

أثر العقل في الإسناد المقبول

تعددت الأسانيد من حيث القبول إلى أربعة أنواع هي:

١- الصحيح لذاته: وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة ٠

٢- الحسن لذاته: وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة ٠

---

٦ الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليلها ١ / ٨١

٧ تحرير علوم الحديث ٢ / ٧٠٨

٣- الصحيح لغيره: هو الحسن لذاته إذا روي من طريق آخر مثله أو اقوى منه ٠

٤- الحسن لغيره: هو الضعيف إذا تعددت طرقه ، ولم يكن سبب ضعفه فسق الراوي أو كذبه ٠ [١]

نجد في أقسام المقبول كلها ينبغي أن يتوفر شرط العدالة ،
والعدالة هي : أن يتصف الراوي بالإسلام والبلوغ والعقل والسلامة من أسباب الفسق وخوارم المرؤة ٠[٢]

فالعقل شرط من شروط العدالة التي تجعل الراوي مقبول الرواية والعقل هو : غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب أو يدرك بها الأشياء على حقيقتها ٠ [٣]

إذا العقل شرط أساسي لا بد أن يتوفر في الراوي ليقبل حديثه فإذا انتفى العقل فلا قبول لما يأتي به من أسانيد ٠

كما أن اتصاف الراوي بالعقل هو من أسباب سلامة الراوي من خوارم المرؤة ٠ [٤]

كذلك الضبط هو شرط في الروي ليكون الإسناد مقبولا
والضبط ضبطان :
ضبط صدر: وهو أن يُثْبِت ما سمعه بحيث يتمكَّنُ من استحضاره متى شاء.

---

٨ ينظر نزهة النظر / ٣٣ وما بعدها ، وتيسير مصطلح الحديث / ٣٤ وما بعدها
٩ ينظر علوم الحديث لابن الصلاح / ٦١ ، وتيسير مصطلح الحديث / ٣٤
١٠ ينظر التعريفات / ١٢٥ ، والعدالة والضبط وأثرها في قبول الأحاديث وردها / ٧٣
١١ينظر المروءة وخوارمها / ٣٢٩

ضبط كتاب: وهو صِيانَتُهُ لديه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يُؤَدِّيَ منه.[١]
فإذا كان الراوي متصفا برزانة العقل فيستطيع أن يحدث بما سمع دون أي خلل ، وكذا إذا كان عقله رزنا وهو يحدث من الكتاب فسيتمكن من أن يميز ما كتبه هو مما كتبه غيره أو ادخله في كتابه دون أن يعلم ٠

لذلك اشترط النقاد العقل لتمام الضبط و (أن يكون الراوي متيقظا وفطنا لما يقال به ، ومتنبها وواعيا لما يحدث به ، والمراد من اليقضة أن يعقل من صناعته ما لايرفع موقوفا ، ولا يصل مرسلا ، ولا يصحف اسما ...) ٠ [٢]

يظهر من هذا ما للعقل من أهمية في قبول الإسناد لان خلل العقل يؤدي إلى عدم ضبط الراوي لما يروي ٠
فإذا خف ضبط الراوي فينزل النقاد حديثه إلى مرتبة الحسن أما إذا ضَعُفَ فلا يقبلوه ٠
تبين من هذا أن المحدثين أَوْلَوْا العقل أهمية بالغة في قبول الإسناد فالكل متفقون على اشتراط العدالة في الراوي لِيُقْبَل الإسناد ولتتحقق سلامة ما يأتي به من ألفاظ ، ويكون من أهل المروءة التي تؤهل الإنسان عموما ليكون مقبولا عند الناس وخصوصا عند المحدثين ٠

---

١٢ ينظر نزهة النظر / ٣٤
١٣ العدالة والضبط وأثرها في قبول الأحاديث أو ردها / ٤١٣

المطلب الثاني

أثر العقل في المتن المقبول

لم يغفل نقاد الحديث عن متنه فضلا عن إسناده في ميزان القبول العقلي للحديث بل اشترطوا لقبول المتن أن يكون مقبولا في عقل الإنسان وقد بين الإمام ابن حبان ذلك في مقدمة صحيحه التي بين فيها شروطه للحديث المقبول فقال:

(وأما شرطنا في نقله ما أودعناه كتابنا هذا من السنن فإنا لم نحتج فيه إلا بحديث اجتمع في كل شيخ من رواته خمسة أشياء

الأول: العدالة في الدين بالستر الجميل

والثاني: الصدق في الحديث بالشهرة فيه

والثالث: العقل بما يحدث من الحديث

والرابع: العلم بما يحيل من معاني ما يروي

والخامس: المتعري خبره عن التدليس

فكل من اجتمع فيه هذه الخصال الخمس احتججنا بحديثه وبنينا الكتاب على روايته وكل من تعرى عن خصلة من هذه الخصال الخمس لم نحتج به) [١]

فنجد الإمام ابن حبان يصرح في الشرط الثالث للحديث المقبول أن يقبل العقل الحديث الذي يحدث به المحدث حتى ولو كان المحدث ثقة فلا بد من التأمل العقلي فيه٠

فثبوت صحة الإسناد لا تكفي للحكم كليا على الحديث بالصحة بل لا بد وأن يصح المتن أيضا ٠

لا سيما (وقد ذكر علماء المصطلح أن العلة تتطرق إلى الإسناد الذي رجاله ثقات ، الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر)٠[٢]

والعلة التي هي: سبب غامض خفي قادح في صحة الحديث ٠

---

١٤ صحيح ابن حبان ١ /١٥١

١٥ علوم الحديث / ٥٢ ، أصول التخريج ودراسة الأسانيد/ ٢٢٧

لا تقتصر على الإسناد فقط بل قد تقع في المتن ايضا ٠ [١]

فينبغي الاطلاع على أحوال الرواة لان منهم من يكون تغير عقله فيروي ما لا يقبله عقل الآخرين .

فعلى الباحث عن الحديث إسنادا أو متنا إن لا يعتمد على المشهور من أحوال الرواة الثقات بل عليه التمحيص في أحوالهم إذ قد يُحكم على إسناد رواته ثقات بالصحة ، ثم يحكم على نفس الإسناد مع متن آخر بالضعف ؛ ذاك أن فيه احد الرواة قد اختلط عقله فيحدث بما لايقبله العقل ٠

المبحث الثالث

أثر العقل في الحديث المردود

المطلب الأول

١٦ ينظر علوم الحديث / ٥٢ ، وتيسير مصطلح الحديث / ٩٩ – ١٠١

أثر العقل في الإسناد المردود

الإسناد المردود هو الضعيف وما يتفرع عنه من أقسام عدة

والضعيف: هو ما لم يجمع صفة الحسن بفقد شرط من شروطه ٠[١]

وقد قسم العلماء المردود أقساما كثيرة بلغ بها بعضهم نيفا واربعين قسما، وأطلقوا على كل قسم اسما خاصا به ومنهم من لم يطلق عليها اسما خاصا بل سماها باسم عام وهو الضعيف، وكل تلك التسميات ترجع بجملتها إلى سببين رئيسيين يمكن أن ينقسم من خلالهما المردود إلى قسمين هما :

١- المردود بسبب سقط من الإسناد

٢- المردود بسبب طعن في الراوي ٠[٢]

فكل نوع من أنواع المردود نجده منبثق من احد هذين القسمين وناشئ عن احدهما

و المردود بسبب سقط من الإسناد: هو انقطاع سلسلة الإسناد بسقوط راو أو أكثر عمدا من بعض الرواة أو عن غير عمد ، من أول السند أو من أخره أو من أثنائه ، سقوطا ظاهرا أو خفيا ٠[٣]

فالعقل السليم يرفض قبول حديث في إسناده انقطاع ولم يسمعه احد رواته من الآخر ٠

والناس في كلامهم العام يرفضوا أن يعتمدوا خبرا لم يسمعوه بأنفسهم من قائله ٠

فكيف بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو دين امة واثبات أحكام وتكاليف، فمن الأولى أن يرفض العقل حديثا في إسناده انقطاع ٠

---

١٧ ينظر النكت على مقدمة ابن الصلاح ٣٨٩/١ ، وتيسير مصطلح الحديث / ٦٣

١٨ ينظر نزهة النظر / ٥٤ – ٥٥ ، وتيسير مصطلح الحديث / ٦٢

١٩ ينظر تدريب الراوي ٢٠٧/١ ، تيسر مصطلح الحديث / ٦٧

لاسيما وان الإسناد من الدين كما قال الإمام عبد الله بن المبارك: (الإسناد عندي من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء) [١]

والمردود بسبب طعن في الراوي: هو جرح الراوي باللسان ، والتكلم فيه من ناحية عدالته ودينه ، ومن ناحية ضبطه وحفظه وتيقظه. [٢]

وسبق أن العقل هو شرط من شروط العدالة التي تجعل الراوي مقبول الحديث . وعليه فترد رواية غير العاقل لان المحدثين اشترطوا في الراوي (أن يكون عاقلا فلا تقبل رواية المجنون وهذا لا بد منه في حال الأداء والتحمل).[٣]

ومن شروط العدالة أيضا السلامة من خوارم المروءة فمن تمكن فيه شيء منها كان حديثه مردودا .

والخبل في العقل وعدم رزانته أو أي فساد فيه يعد خرما لمروءة الإنسان الذي سُمِيَ مرءا أو امرءا أي عاقلا ، ووصف بالمروءة لأنه لا يتصف بخلافها إلا الحمقى ، لذلك جعل العقل هو المروءة ومن هنا كان الخبل في العقل سببا في اقتراف خوارم المروءة مما يؤدي إلى عدم الثقة بحديثه فيصير مردودا. [٤]

بل إن خبل العقل ليس سببا واحدا من أسباب الخوارم بل باب لارتكاب مختلف أنواع الخوارم .

فإذا كان حديث الراوي مردودا بسبب ارتكابه لخارم من خوارم المروءة ، فمن احتمل ارتكابه لخوارم عدة كان من الأولى أن يكون حديثه مردودا .

---

٢٠ الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢١٣

٢١ ينظر نزهة النظر /٦١ – ٦٢ ، وتيسير مصطلح الحديث / ٨٨

٢٢ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ٢ / ٨٤

٢٣ ينظر المروءة و خوارمها / ٣٢٩ – ٣٣٠

و من ناحية الضبط فعدم استدامة العقل عند الإنسان تجعله مردود الحديث لأنه لو تحمل وهو مكتمل العقل ثم أصاب عقله خللا فلم يتمكن من أداء ما تحمله بالألفاظ نفسها وهذا ما يسميه المحدثون الاختلاط ٠

والاختلاط : هو فساد العقل وعدم انتظام الأقوال والأفعال ، إما بخرف، أو ضرر، أو مرض، أو عرض من موت ابن وسرقة مال ، أو ذهاب كتب أو احتراقها ٠ [١]

فلا ينبغي الاعتماد على الصحة الظاهرة دون الغور في دقائق الإسناد لان من الرواة (قوم ثقات اختلطت عقولهم في أواخر أعمارهم فخلطوا الرواية)٠ [٢]

وفي هذه الحال يكون حديث المختلط إذا حدث بت بعد الاختلاط مردودا حتى لو كان ثقة ، الا إذا وافق حديثه الذي رواه قبل الاختلاط ٠ [٣]

المطلب الثاني
أثر العقل في المتن المردود

أعمل المحدثون العقل وجعلوه ميزانا لرد الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات القبول سندا ومتنا لاسيما إذا كان المتن مما لا يقبله العقل ٠

---

٢٤ ينظر فتح المغيث شرح ألفية الحديث ٣ / ٣٦٦

٢٥ مقدمة في مصطلح الحديث / ٥٠

٢٦ ينظر فتح المغيث ٣ / ٣٦٦

قال الخطيب البغدادي رحمه الله : (ولا يقبل خبر الواحد في منافاة حكم العقل)٠ [١]
فإذا ورد المتن فيما ينافي العقل _ والظاهر صحة إسناده _ فهو مردود حتى ولو كان مشهورا، وإن كانت (شهرة الحديث عند أئمة الحديث تغني عن الإسناد وذلك إذا لم يستنكروه أو لم يطعنوا فيه)٠ [٢]

فإذا كان متن حديث مشهورا وأنكره المحدثون أو طعنوا فيه فهو مردود٠
فما كان منكر عقليا فمن الأولى عدم قبوله وعده مردودا حتى ولو رواه الثقة، وقد صرح بذلك الخطيب البغدادي فقال :

(إذا روى الثقة المأمون خبرا متصل الإسناد رُدَ بأمور:
أحدها: أن يخالف موجبات العقول ، فيعلم بطلانه ، لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول ، وأما بخلاف العقول فلا)٠ [٣]

لذا وجد من خلال الاستقراء لكلام نقاد الحديث أن من مقاييسهم المحكمة في نقد المتن هو : النظر العقلي في الحديث ٠ [٤]

المبحث الرابع
أثر العقل في كشف الموضوع
المطلب الأول
العقل وسيلة لكشف الموضوع

---

٢٧ الكفاية في علم الرواية ١ / ٤٣٢
٢٨ المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل / ٤٢٦
٢٩ الفقيه والمتفقه ١ / ٣٥٤
٣٠ ينظر أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم / ٦٦

الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ٠ [١]

ومن وسائل كشف الوضع في الحديث مخالفته العقل ونجد أن الإمام ابن الجوزي رحمه الله يضع لنا قاعدة في كشف الموضوع فيقول :

(فكل حديث رأيته يخالف المعقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع فلا تتكلف اعتباره)[٢]
فمن علامات الكشف عن الموضوع أن يخالف صريح العقل والطريق إلى معرفة ذلك أن لا يقبل تأويلا [٣]

وليس من الممكن لشرع الله أن يخالف ويناقض العقل وان لا يكون له تأويلا ٠

ف(إن ما جاء من عند الله لا يمكن أن يناقض ما استيقنته العقول ، ولذا قالوا إن الشريعة لا تأتي بمحالات العقول وان جاءت بما تحتار به العقول) [٤]

فقد يرد في الشرع ما تحتار العقول في الاستنباط منه ولكن لا تأتي الشريعة بالمستحيل عقلا .

---

٣١ ينظر فتح المغيث ١/ ٢٥٢ – ٢٥٣ ، وتيسير مصطلح الحديث / ٨٩

٣٢ الموضوعات ١ / ١٠٦

٣٣ ينظر الوضع في الحديث النبوي / ١١٣

٣٤ الوضع في الحديث النبوي / ٦١

وهنا يبدو واضحا إعمال المحدثين العقلَ في كشف الموضوع إذ أجهدوا عقولهم في سبيل الحفاظ على السنة وتمحيصها من دخول ما ليس منها فيها .

المطلب الثاني

قاعدة(أحاديث العقل كلها كذب)

لما كان العقل وسيلة من وسائل الكشف عن الموضوع ، وبيان ما للعقل من دور في كشف الموضوع فأفردت لهذه القاعدة مطلبا خاصا بها كما افردها المحدثون في كتبهم ضمن القواعد التي ضمت القوانين التي تبين وتميز الموضوع من غيره .

ومنهم الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى الذي قال في كتابه المنار المنيف : (وسئلت هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر في سنده _ فكان جوابه _ فهذا سؤال عظيم القدر وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة واختلطت بلحمه ودمه وصار له فيها ملكة وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه فيما يأمر به وينهى عنه ويخبر عنه ويدعو إليه ويحبه ويكرهه ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه)[٣٥]

ما أحسن كلامه فالعقل المهتدي بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمكانه أن يميز كلام من انزل عليه الوحي من كلام عامة البشر .

(وقد أخذ ابن القَيِّم – رحمه الله – في الجواب عن هذا السؤال – بعد أن بَيَّنَ أَهَمِّيَتَه وعظمَ شأنه – فذكر جملة من الضوابط والقواعد التي يمكن من خلالها معرفة ذلك، مع إيراد جملة من الأمثلة من الأحاديث الموضوعة تحت كل قاعدة. وقد ذَكَرَ ضمن

٣٥ المنار المنيف في الصحيح والضعيف / ٤٣ – ٤٤

ذلك جملةً من الأحكام الكُلِّيَّةِ الجامعة، كقوله: الأحاديث الواردة في ذلك كلها كذب، أو: لا يصح منها شيء، ونحو ذلك)٠ [١]

ومن جملة القواعد التي ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى :
(أحاديث العقل كلها كذب) [٢]

ومن جميل ما يمثل به للمحال عقلا ما ورد في فضل العقل، ورفَضَهُ العقل المسلم : (لما خلق الله العقل قال له: قم، فقام، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: اقعد، فقعد، فقال: ما خلقت خلقا هو خير منك ولا أكرم منك ولا أفضل منك ولا أحسن منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أعرف، وإياك أعاقب، لك الثواب وعليك العقاب) [٣]

فبالإضافة إلى ما بينه الإمام ابن الجوزي من حال رواة هذا الموضوع: أن احدهم يروي الموضوعات ،والآخر مجمع على كذبه .[٤]

فقد حكم شيخ الإسلام ابن تيمية بوضعه لرفض العقل له فقال رحمه الله تعالى : (هذا حديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم ، والذين يروونه ذكروه في فضل عقل الإنسان .

---

٣٦ ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة ١ / ٣٠٢
٣٧ المنار المنيف في الصحيح والضعيف / ٦٦
٣٨ الموضوعات ١ / ١٧٤
٣٩ ينظر المصدر السابق ١ / ١٧٤

وأما ما يظن بعض الناس المراد به العقل الفعال فهذا قول من يقول من المعتزلة والملاحدة الذين يقولون بان العقل الفعال هو المبدع لهذا العالم ، وهذا مما هو مخالف لما اتفقت عليه الرسل مما هو مخالف لصريح العقل)[1]

كذلك الإمام ابن القيم حكم عليه بالوضع فلما ذكر القاعدة استشهد لها بهذا الكلام الموضوع في العقل. [2]

فالعقل المسلم عقل متحرر مستنير بنور كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وهو يرفض مثل هذا الكلام أن يكون حديثا نبويا لأن فيه تعطيل للشرع وتحكيم العقل عليه .

والله نحمد على إعطائه المسلمين عقولا ترفض أشياء حتى في فضلها.

الخاتمة

بعد قراءة هذه الصفحات يمكن التوصل إلى النتائج والوصايا الآتية

النتائج:

١- إن المحدثين بذلوا جهدا في البناء الحضاري للأمة من خلال النظر العقلي في الحديث

٢- إن العقل لا يكون حَكما ناقدا للحديث إلا إذا استنار بنور كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

---

٤٠ أحاديث القصاص ٥٧ – ٥٨

٤١ ينظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف / ٦٦

٣- إن المحدثين راعوا العقل في قبول الحديث ورده سندا ومتنا ٠

٤- إن المحدثين جعلوا العقل وسيلة لكشف الكلام المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بُراء منه ٠

الوصايا:

١- مراعاة جانب العقل في الدراسات الشرعية عامة ، والدراسات الحديثية خاصة ، لا سيما في الدراسات العليا ٠

٢- عدم الاعتماد على العقل فقط في الحكم على الحديث بل لا بد من عرضه على قواعد وشروط القبول والرد ٠

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى وصحبه وسلم.

المصادر

القرآن الكريم

١- ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها – تأليف جمال بن محمد السيد – عمادة البحث الإسلامي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط ١ / ٢٠٠٤م

٢- أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم – تأليف د. خلدون الأحدب _دار ابن حزم بيروت – ط ١ – ١٤٢٩ _ ٢٠٠٨ م

٣- أحاديث القصاص – تأليف شيخ الإسلام احمد بن عبد الحليم ابن تيمية – تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ – المكتب الإسلامي بيروت، دمشق – ط ٣ – ١٤٠٨ _ ١٩٨٨ م

٤- أصول التخريج ودراسة الأسانيد – تأليف د. محمود الطحان – مكتبة الرشد ،الرياض – ط ٥ – ١٤٠٣ _ ١٩٨٣ م

٥- تحرير علوم الحديث – تأليف عبد الله بن يوسف الجديع – مؤسسة الريان ، بيروت – ط ٣ – ٢٠٠٧ م

٦- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي – للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض

٧- التعريفات – تأليف الشريف علي بن محمد الجرجاني – دار إحياء التراث العربي ، بيروت – ط ١ – ١٤٢٤ _ ٢٠٠٣م

٨- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار –تأليف أبي إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد المعروف بالأمير الصنعاني ت ١١٨٢هـ – دراسة وتحقيق أبي عبد الرحمن
صلاح بن محمد بن عويصة – دار الكتب العلمية، بيروت – ط ١ – ١٤١٧هـ _ ١٩٩٧ م

٩- تيسير مصطلح الحديث – تأليف د. محمود الطحان –، الكويت – ط٣ – ١٤٠٧_١٩٨٧ م

١٠- الجامع لأخلاق الراوي – تأليف أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي – تحقيق : د. محمود الطحان – مكتبة المعارف ، الرياض – ١٤٠٣

١١- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة – تأليف د. يوسف القرضاوي – دار الشروق القاهرة – ط ٣ – ١٤٢٣ _ ٢٠٠٢ م

١٢- صحيح ابن حبان (التقاسم والأنواع) – للإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي ت ٣٥٤ هـ – بترتيب علي بن بلبان بن عبد الله، ت ٧٣٩هـ – تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة

١٣- العدالة والضبط وأثرهما في قبول الأحاديث وردها – تأليف د. حيدر اشرف إقبال احمد – مكتبة الرشد ، الرياض – ط ١ – ١٤٢٧ _ ٢٠٠٦ م

١٤- علوم الحديث – للإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري – مكتبة الفارابي – ط١ – ١٩٨٤ م

١٥- فتح المغيث شرح ألفية الحديث – تأليف شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي
– دار الكتب العلمية – لبنان ط ١ – ١٤٠٣هـ

١٤- الفقيه والمتفقه – تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي – تحقيق عادل بن يوسف العزازي –دار ابن الجوزي بالسعودية – سنة ١٤١٧هـ.

١٥- الكفاية في علم الرواية تأليف أحمد بن علي بن ثابت أبي بكر الخطيب البغدادي – تحقيق أبي عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني – المكتبة العلمية – المدينة المنورة

١٦- المروءة وخوارمها – تأليف مشهور بن حسن آل سلمان – دار ابن القيم ، الرياض _ دار ابن عفان ، القاهرة – ط ٣ ١٤٢٧ _ ٢٠٠٦ م

١٧- مقدمة في مصطلح الحديث – تأليف عبد القادر بن احمد بن مصطفى بن بدران ت ١٣٤٦ – اعتنى بها نور الدين طالب – دار أطلس ، الرياض – ١٤٢٠ _ ١٩٩٩ م

١٨- المنار المنيف في الصحيح والضعيف – للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، ابن قيم الجوزية ت ٧٥١ – تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة – دار البشائر الإسلامية بيروت – ط ١١ – ١٤٢٥ _ ٢٠٠٤ م

١٩- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل – تأليف الدكتور فاروق حمادة – دار طيبة – الرياض السعودية – ط٢

٢٠- منهج النقد في علوم الحديث – تأليف أ.د. نور الدين عتر – دار الفكر دمشق – دار الفكر المعاصر بيروت – ط ٣٠ – ١٤٣٠ _ ٢٠٠٩ م

٢١- الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليلها – تأليف د. حمزة المليباري
– ط ٢ – ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م

٢٢- الموضوعات – للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي – ت ٥٩٧ هـ – ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان – ط ١ – ١٣٨٦ – ١٩٦٦ م

٢٣- النكت على مقدمة ابن الصلاح – تأليف بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر الزركشي – تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج – نشر أضواء السلف – الرياض – ط١ – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م

٢٤- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر – للإمام ابن حجر العسقلاني – تحقيق د. عبد السميع الأنيس و عصام فارس الحرستاني – دار عمار الأردن – ط ١ – ١٤١٩ _ ١٩٩٩ م

٢٥- الوضع في الحديث النبوي – تأليف أ.د. عمر سليمان الأشقر – دار النفائس الأردن – ط ١ – ١٤٢٤ _ ٢٠٠٤ م